



بين التصوف والتشيع.. هل تسعى إيران لاتخاذ الطرق الصوفية بوابة لنفوذها في مصر؟ (٢)

تأثر المصري - مصر

من السياسة أو طبيعة العلاقات الخارجية أو في درجة الانفتاح على التيارات والطوائف الأخرى وهو ما يفسر تقارب بعضهم مع طهران بينما يتخذ آخرون موقفا رافضا لهذا المسار.

فمن هذه المواقف المتباينة مثلا ما جاء على لسان د. عبد الحليم الحسيني الذي يتولى موقع السكرتير العام لشبكات الطرق الصوفية خلال كلمة له في السفارة الإيرانية في مصر للحديث عن المرشد الإيراني السابق على الخامنئي بعد اغتياله. فقد عبر الحسيني عن مدى الحرص على التقارب مع إيران رافضا الحديث عن الخلاف بين السنة والشيعة أو وقوع اضطهاد إيراني للسنة في إيران بل إنه أعرب عن اعتقاده بأن سبب الخلاف في الأمة هو ابتعادها عن أهل البيت في محاولة مكشوفة للتزلف للشيعة وإيران.

وأضاف: «لقد ذهبنا إلى مشهد والتقينا بالطرق الصوفية في شمال شرق إيران وسألناهم عما تروجه عشرات الفضائيات حول ظلم السنة وحرمانهم من إقامة مساجد خاصة بهم؟ إلا أنهم أخبرونا بأنهم أحناف يؤدون أعمالهم بكل حرية على منهج أهل السنة وأن لهم مساجدهم كما لهم ممثلين في مجلس النواب»^(١)

في الجزء الأول من هذا المقال خلصنا إلى أن اقتراب إيران من الأوساط الصوفية المصرية لم يكن مجرد تحرك عابر بل يأتي في سياق مشروع أوسع لإيجاد موطئ قدم داخل المجتمع المصري وقد وجدت طهران في بعض المساحات الصوفية المصرية ما يمكن البناء عليه.

ومن ثم فإن المسألة أصبحت سؤالاً عن قابلية بعض البيئات الصوفية المصرية للتوظيف في مشروع النفوذ الإيراني، فقد يكون بناء شبكات من العلاقات مع رموز دينية مؤثرة وتطبيع الحضور الإيراني وتقديم النموذج الشيعي باعتباره امتدادا طبيعيا لدعوى محبة آل البيت؟

لكن يبقى السؤال الأهم.. إلى أي مدى استطاعت إيران أن تستثمر هذه المساحات في مصر؟ وهل تحولت بالفعل إلى طريق للنفوذ أم أن الطريق الذي ظنته طهران مفتوحا اصطدم بعقبات حالت دون بلوغ الغاية؟

تباين المواقف

ليس من الموضوعية النظر في علاقة الصوفية في مصر بالتشيع وإيران باعتبارها كتلة واحدة إذ هناك تباينات بين هذه الطرق ومشايخها تجاه هذه العلاقة تبعا للموقف

١- مقطع فيديو متداول للحسيني، <https://www.youtube.com/shorts/IVN5iHCHfxA>

وما ذهب إليه الحسيني لا يبدو موقفاً فردياً معزولاً بقدر ما تعكسه مواقف وتصريحات وتحركات صدرت عن عدد من مشايخ الطرق الصوفية في مصر وتدعمها شواهد متعددة تكشف عن قدر هذا التقارب مع إيران والتشيع سواء على مستوى الخطاب أو من خلال المشاركة في فعاليات ومناسبات ذات صلة بالمؤسسات الإيرانية أو عبر تبني خطاب التقريب المزعوم بين السنة والشيعة بصيغ تتجاوز أحياناً مجرد الدعوة إلى الحوار والتعايش إلى الدفاع عن الموقف الإيراني وتبرئته من الانتقادات الموجهة إليه.

لكن في مقابل ذلك نجد نماذج صوفية ترفض هذا المسار وتعارض عليه ومنها مثلاً ما أعلنه المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر في نوفمبر ٢٠١١ حول إحالة أحد عشر شيخاً للتحقيق بعد سفرهم إلى إيران وكان على رأسهم شيخ الطريقة العزمية علاء الدين ماضي أبو العزائم إذ كشف المجلس عن أن المشايخ التقوا بمرجعيات شيعية وأن بعض التصريحات المنسوبة إليهم تحدثت عن وقوف الشيعة إلى جانب الصوفية في مواجهة التيار السلفي نافياً وجود تقارب صوفي شيعي ومؤكداً في الوقت ذاته تمسكه بالمنهج السني^(٣).

وقد حاول الشيعة تثبيت وجودهم في مصر عبر مراسم عاشوراء في مسجد الحسين بالقاهرة من خلال اختراق الصوفية، وقد رفض ذلك قطاع من الصوفية حيث قال الدكتور محمد أبو الفيض، عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية وشيخ الطريقة الفيضية، إنه «لا يوجد علاقة بين الصوفية والشيعة، وليس لنا علاقة بهذه الاحتفالات، ولا نحیی ذكری عاشوراء»، موضحاً أن «الشيعة يتمسحون في الصوفية لزيادة عددهم»، وقال مصطفى زايد، منسق ائتلاف عام الطرق الصوفية، إن «الصوفية ترفض احتفالات الشيعة وطقوسهم من التبطير واللطم، وغيرها من الطقوس المعتاد عملها في العراق وإيران وقت الاحتفالات».

بيئة الاختراق

لم تتجه الاتصالات الإيرانية إلى الطرق الصوفية على نحو عشوائي أو متساو وإنما برز اهتمام خاص ببعض الطرق والشخصيات التي أبدت انفتاحاً أكبر على خطاب التقريب وفتحت أبوابها للحوار والتواصل مع الجانب الإيراني.

وبرزت الطريقة العزمية باعتبارها الحالة الأوضح والأكثر أهمية وهو ما كشف عنه مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية التابع للدولة المصرية في دراسة ذكرت بصراحة أن الممثل الثقافي للسفارة الإيرانية أبدى اهتماماً بالتقارب بين الشيعة والصوفية في مصر وأن الطريقة العزمية اضطلعت بدور مهم في هذا التقارب.

وأشارت الدراسة إلى تكرار زيارات شيخ الطريقة إلى إيران وإلى أنه كان يساعد طرقاً صوفية أخرى على المشاركة في مؤتمرات ومناسبات داخل إيران مضيفاً أن الأهم أن العلاقة لم تكن مجرد مشاركة في مؤتمر عابر بل أخذت شكل شبكة اتصال صوفية - إيرانية إذ تصف الدراسة العزمية بأنها صاحبة علاقة قوية بإيران وأنها قامت بدور في الدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة^(٤).

من خلال التعرف على أسماء المشايخ الذين تم إحالتهم للتحقيق من قبل المجلس الأعلى للطرق الصوفية بسبب رحلتهم إلى إيران عام ٢٠١١، يمكننا التعرف على الطرق التي ساعدتها الطريقة العزمية على إقامة علاقة بينها وبين إيران، ومن بين هذه الأسماء: «علي الذهبي السيد حمودة الخصري» «السعدية»، و«شريف محمد عبد السلام طه مشينة» «السلامية الشاذلية»، و«عيسى عبد الرحيم محمد الجوهري» «الجوهري الشاذلية»، و«هاني محمد عبد السلام سالمان» «الإمبابية الأحمدية»، و«محمد عبد المجيد يوسف الشرنوبی» «الشرنوبية البرهامية»، و«مصطفى محمد الطاهر الصافي» «الهاشمية الشاذلية»، و«نضال محمد علي المغازي» «المغازية الخلوتية»، و«عبد الباقي الحبيبي» «الحبيبية»، و«فكري السيد علي فكري منصور كركيم» «العروسية الشاذلية»، و«محمد بهجت نور الخصري» «الخضيرية».

والأخطر أن زيارة هذا الوفد حظيت باهتمام إيراني واسع حيث استقبلهم مستشار المرشد الإيراني للشؤون الدولية علي أكبر ولايتي الذي لم يتعامل مع زيارة الوفد باعتبارها زيارة دينية عابرة بل تحدث عن الدور الذي تريد إيران أن تلعبه الطرق الصوفية فبحسب «بوابة الأهرام» قال ولايتي: إن إيران ترى الصوفية من أكثر التيارات اعتدالاً وإنها ستدعم الصوفية وإن التصوف سيكون ضمن أولويات «مجلس الصحة الإسلامية» بل وأعلن أن علاء أبو العزائم سيكون ممثل الطرق الصوفية في المجلس^(٥).

ويضيف الخبر أن إيران كانت تعترم إصدار كتب لعلماء شيعة من خلال الطريقة العزمية للتعريف بالمذهب

٣ - الطرق الصوفية في مصر: دراسة حالة الطريق العزمية، مركز الأهرام للدراسات، ٢٠١٧/٨/٣، <https://2u.pw/EKBab57>
٤ - بوابة الأهرام، ١٧/١١/٢٠١٧، <https://2u.pw/AePYWu>

٢ - جريدة اليوم السابع، ٢٠١٧/١١/٢١، <https://2u.pw/fjLpNs>



د. عبد الحليم الحسيني

الشيوعي كما تحدث ولايتي عن «دعم الصوفية».

ومن القرائن أيضا على مدى الصلة بين العزمية وإيران أنه في يوليو ٢٠١٤ حضر وفد دبلوماسي إيراني الإفطار السنوي للطرق الصوفية الذي أقيم في مقر الطريقة بحي السيدة زينب بالقاهرة برئاسة توفيق الصمدي المستشار السياسي لمكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة فيما كان من الحضور حاتم عنان شيخ الطريقة العنانية.^(٥)

ولا يقتصر الإختراق على الطريقة العزمية، إذ أعلن ائتلاف الطرق الصوفية، عن الكشف عن طريقة صوفية جديدة غير مسجلة في المشيخة العامة للطرق الصوفية تدعى «الطريقة الحسينية الأممية ترؤج للمذهب الشيعي في صعيد مصر عبر «داعية» بأحد المساجد الكبرى بمركز صدفة في مدينة أسيوط جنوبي البلاد تحت غطاء التصوف، مستغلاً جهل الناس ومحبة أهل الصعيد لآل بيت رسول الله»^(٦).

تحصين الساحة

محاولات الاختراق الإيراني للمتصوفة في مصر لا تزال قائمة حتى اللحظة، ومشاركة د. عبد الحليم الحسيني في عزاء خامنئي قبل شهر مثال ساطع لذلك، ولذلك فإن بقاء هذا الوضع على حاله لا ينبغي أن يترك للمصادفة فمواجهة محاولات النفاذ إلى البيئة السنية تحتاج إلى وعي مؤسسي يقطع الطريق على أسباب الاختراق قبل أن تتحول إلى ظاهرة يصعب احتواؤها.

وتتوزع المسؤولية هنا على المؤسسات الدينية كـ«الأزهر» فضلا عن الدولة المصرية اللذان وجب أن يعيا أهمية أن لا تتحول دعاوى الحوار والتقريب إلى غطاء لنشاط طائفي أو سياسي إيراني يستهدف إعادة تشكيل البيئة الدينية المصرية.

وتتجسد مسؤولية الأزهر باعتباره جامعة دينية سنية في الحضور بصورة أكثر وضوحا في هذا الملف الشائك لا بالخطاب التحذيري وحده وإنما بإنتاج معرفة علمية دقيقة بالفرق الشيعية لكشف حقيقة أفكارها بالاستناد إلى كتبها وشرح نقاط الاختلاف وتفكيك مواطن الالتباس التي يمكن أن يستغلها الخطاب الشيعي الوافد.

أما الدولة المصرية فمسؤوليتها مختلفة إذ المحاولات

الإيرانية للاختراق تمثل تهديدا لأمن المجتمع الذي ينبغي أن لا تتهاون فيه لذا فإن المطلوب هو مراقبة مصادر التمويل والاتصالات الخاصة بكل من نجحت إيران في استقطابهم طائفا أو حتى سياسيا لتحول بينهم وبين تنفيذ مخططاتهم.

ويأتي ضمن مسؤولية الدولة أيضا تفعيل دور المجلس الأعلى للطرق الصوفية الذي يشرف على هذه الطرق فيقوم بدوره الرقابي لمتابعة أنشطة الطرق ومشايخها وضبط العلاقات الخارجية لها ومن ثم منع تحول أي طريقة إلى قناة مستقلة لنفوذ شيعي أو سياسي أجنبي.

ومع أهمية دوري كل من الأزهر والدولة إلا أن المسؤولية الأهم ملقاة بالأساس على عاتق الدعاة والإعلاميين كونهم في حالة تواصل دائم مع الجماهير ولهم التأثير الأكبر عليهم وهو ما يلزمهم بالعمل بشكل منظم ومكثف لتوعية الجماهير بخطورة ما يحاك لهم من ناحية وبالرد على الشبهات والأكاذيب التي يحاول الشيعة وأتباع إيران الترويج لها من ناحية أخرى.

٥ - جريدة المصري اليوم، 23/7/2014، <https://2u.pw/GbeBg7>

٦ - وكالة الأناضول، ٢٠١٣/٥/٢٤، <https://2u.pw/f1KCGz>